إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع
المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي
في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 – 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022

مدارس جمعية العلماء المسلمين
ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية
ـ مدرسة الإصلاح بحاضرة الزقم أنموذجا ـ

Muslim Scholars Association Schools And its role in preserving national identity Al-Islah School in the city of Zuqm as a model

د/ مختار قديري
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي (الجزائر)
guediri-mokhtar@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يتضمن هذا البحث التعريف بأحد مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال فترة الاحتلال الفرنسي، المسماة" مدرسة الإصلاح بالزقم"، والتي لعبت دورا كبيرا في نشر العلم، ومحاربة الجهل والخرافات، ودعم الثورة التحريرية، وإبطال خطط المستعمر التي كانت ترمي لطمس الثوابت الوطنية والهوية الإسلامية لدى الشعب الجزائري.

ومن أهم النتائج: مدرسة الإصلاح كان لها دور كبير في المحافظة على عناصر الهوية الوطنية، وذلك من خلال نشر التعليم وتحفيظ القرآن ومحاربة التنصير وتوعية الشعب من خلال الدروس والمحاضرات، ومن التوصيات: العمل على إعداد معجم للتعريف بشيوخ ورجالات مدرسة الإصلاح بالزقم، وذلك بالاستعانة بتلاميذها الذين ما زالوا على قيد الحياة، أمثال الشيخ: أحمد منصوري-حفظه الله، وبيان دورهم في المقاومة الثقافية.

الكلمات المفتاحية: مدرسة؛ الإصلاح؛ الزقم؛ جمعية؛ العلماء؛ الهوية الوطنية.

Abstract:
This research includes the definition of one of the schools of the Association of Algerian Muslim Scholars during the period of the French occupation, called the “Reform School in Zaqm”, which played a major role in spreading science, fighting ignorance and superstition, supporting the liberation revolution, and nullifying the colonizer’s plans that aimed to obliterate the national constants and Islamic identity among the The Algerian people.
Among the most important results: Al-Islah School had a major role in preserving the elements of national identity, through spreading education, memorizing the Qur’an, fighting Christianization and raising people’s awareness through lessons and lectures. Those who are still alive, like Sheikh: Ahmed Mansouri - may God protect him, and an explanation of their role in the cultural resistance.
Keywords: School; repair; swarm association; scholars; National Identity.

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد لعبت المدارس التعليمية في منطقة واد سوف دورا كبيرا في نشر العلم ومحاربة الجهل، ومقاومة المستعمر، وإبطال سياساته الرامية لطمس الهوية، ومن خلال هذا البحث أردت التعريف بأحد الحواضن التعليمية بمنطقة وادي سوف التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المسمّاة: "مدرسة الإصلاح بالزقم" (بلدية حساني عبد الكريم حاليا) خلال فترة الاحتلال الفرنسي. وما دفعني للكتابة في هذا الموضوع -إضافة إلى رغبتي في المشاركة في هذا الملتقى- هو جهل الكثيرين من سكان وادي سوف بهذه المدرسة العريقة، وبجهودها في نشر الوعي ورفع الجهل ومحاربة المستعمر، فعقدت العزم على التعريف بها وبشيوخها وطلابها ومناهجها ودورها العلمي والتربوي والثقافي الذي لعبته إبان الحقبة الاستعمارية.

أهداف الدراسة:

- التعريف بقلاع التعليم العربي الحر التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- إبراز دور المدارس الإصلاحية في الحفاظ على عناصر الشخصية الجزائرية.
- التعريف برجال الإصلاح الذين كان لهم دور كبير في التصدي للمستعمر الفرنسي وخططه لطمس الهوية الوطنية.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي، وذلك من خلال رصد الأحداث التاريخية التي مرّت بها مدرسة الإصلاح بالزقم منذ افتتاحها، وإبراز دورها التعليمي والتربوي الذي لعبته في منطقة وادي سوف، وفي مقاومة المستعمر الفرنسي.

2. دوافع تأسيس مدارس جمعية العلماء المسلمين وأهم محاضنها بحاضرة الوادي

يتضمن هذا المحور بيان دوافع تأسيس مدارس التعليم الحر التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وأهم محاضنها بحاضرة الوادي، من خلال النقطتين الآتيتين:

1،2. دوافع تأسيس مدارس التعليم الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين:

بعد أن خيم الجهل والخرافة اهتدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى بناء المدارس الحرة لمواجهة المشروع الفرنسي التغريبي الاستعماري، لتكون هذه المدارس منارات يهتدى بها الشعب الجزائري وتضيء له طريق التحرير من ربقة الاستدمار الفرنسي الغاشم الثقافي والعسكري، وقد شيدت هذه المدارس بأموال الأمة، وبتكاتف جهود المخلصين من أبناء الشعب، وكان الغرض من إنشائها هو المحافظة على الهوية الوطنية وتربية الناشئة

التربية الإسلامية. وقد بلغ عدد مدارس الجمعية منذ تأسيسها سنة 1931م، وحتى سنة 1954م مائة وخمسون مدرسة يتردد عليها أكثر من ألف تلميذ وتلميذة يدرسون فيها مبادئ اللغة العربية وأصول الدين. مع العلم أنه وفي سنة 1946م تمّ تأسيس هيئة الإشراف على هذه المدارس، أُطلق عليها اسم "لجنة التعليم العليا" أسندت لهذه اللجنة مهمة تعيين المعلمين والمفتشين وترقيتهم وتنقلاتهم، ووضع المناهج والبرامج والامتحانات[1].

2،2. مدارس جمعية العلماء المسلمين بحاضرة الوادي:

وهذه أسماء المدارس الحرة في ولاية الوادي التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1،2،2. مدرس النجاح: تعد هذه المدرسة من أوائل مدارس الجمعية على مستوى الوادي، بل على مستوى الوطن، حيث يقول الشيخ محمد الطاهر تليلي أن المدرسة تأسست سنة 1931م التاريخ الذي تأسست فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأن أول من درس بها هو الشيخ عمار بن الأزعر[2].

2،2،2. مدرسة الإصلاح: وهي المدرسة الثانية للتعليم الحر بحاضرة الوادي بعد مدرسة النجاح، وقد كان لرجوع الشيخ إبراهيم كلكامي من جامع الزيتونة أثر كبير على الحركة الإصلاحية بالمنطقة ومن أهمها تأسيس مدرسة الإصلاح بالزقم سنة 1943م، وسيأتي خلال المحورين القادمين التعريف بها وبدورها في المقاومة الثقافية[3].

3،2،2. مدرسة الفلاح: تبع تأسيس مدرسة الإصلاح بالزقم تأسيس مدرسة الفلاح بالخبنة بالرقيبة ما بين سنة 1950م و1951م، وترجع فكرة تأسيس المدرسة إلى تأثر أهل الخبنة بمدرسة النجاح بقمار خاصة بعد بعثها من جديد سنة 1949/1948م وترأس الشيخ محمد الطاهر تليلي لها[4].

3. التعريف بمدرسة الإصلاح ونشأتها

يتضمن هذا المحور بيان نشأة مدرسة الإصلاح والإشارة إلى أهم شيوخها وتلاميذها من خلال النقاط الآتية:

1- إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ص 252.

2- يوسف زغوان، التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931-1962)، رسالة ماجستير التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف علي غنابزية، جامعة الوادي، شعبة التاريخ، 2014-2015، ص83-84.

3- نفسه، ص117-119.

4- نفسه، ص103.

1.3. نشأة مدرسة الإصلاح

هي مدرسة حرّة أُنشئت في بلدة الزقم[5] بمنطقة وادي سوف إبان الفترة الاستعمارية، وكانت تعمل كباقي المدارس التعليمية في نشر العلم، ومحاربة الخرافات والبدع، وكان رجال الإصلاح بالمنطقة يتردّدون عليها لإلقاء الدروس والمحاضرات نظرا لموقعها المتميّز المقابل للمسجد الغربي العريق من الناحية الشمالية.

وعقب افتتاح شعبة جمعية العلماء المسلمين بالمنطقة، بعد الزيارة التاريخية لوفد الجمعية بقيادة رئيسها العلامة عبد الحميد بن باديس لبلدة الزقم سنة 1937م6، بدأ التفكير من طرف رجال الإصلاح بالمنطقة في فتح فرع مدرسة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على غرار مدرسة النجاح بقمار ومدرسة الفلاح بالخبنة (الرقيبة). وكان لرجال الإصلاح الذين تأثروا بالحركة العلمية بجامع الزيتونة دورا كبيرا في تأسيسها، ويرجع الفضل في تأسيس هذه المدرسة للشيخ إبراهيم كلكامي، فبعد عودته من الزيتونة حوالي سنة 1943م بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، توجهت همّته إلى تأسيس مدرسة تربوية تعليميّة تضاهي مدارس الجمعية، واختار لها اسم: "الإصلاح"، الذي يُوحي بخطِّها الفكري الدّاعي إلى التربية والإصلاح والتغيير.

بدأت المدرسة عملها في بيت صغير تطوع به الشيخ الطاهر منصوري، والواقع غرب المسجد الغربي، تمّ نُقل مقرها إلى زاوية أولاد لخضر بنفس المنطقة في حجرة واقعة شمال الزاوية، واستمرت المدرسة في عملها إلى غاية سنة 1957م، أين تمَّ توقيفها بعد اكتشاف المستعمر دورها ورجالاتها في دعم الثورة، فاعتقلت مديرها ومؤسسها الشيخ إبراهيم كلكامي، وقامت بإعدامه في مجزرة رمضان سنة 1957م، التي راح ضحيتها عدد كبير من علماء منطقة وادي سوف[7].

2.3. شيوخ المدرسة:

أدخل هنا محتوى الشيخ الوحيد الذي نال شرف التدريس في هذه المدرسة، هو مؤسسها العلامة إبراهيم كلكامي، الذي تأثر بالحركة العلمية بجامع الزيتونة، فأراد نقل هذه التجربة إلى بلدته، وقد تخرَّج على يديه عدد كبير من الطلبة، وهذه ترجمة مختصرة للشيخ إبراهيم كلكامي:

5- هي أقدم قرى وادي سوف، تقع شرق عاصمة الولاية، اشتهر أهلها بالعلم والإصلاح، وهي الآن تابعة إداريا لبلدية حساني عبد الكريم.

6- ينظر: تفصيل الزيارة التي رواها الشيخ حمزة شنوف المدعو بكوشة في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين، الأعداد: 93، 94، 95، 96.

7- لقاء مع أحد تلاميذ المدرسة الشيخ: أحمد منصوري بتاريخ: 31-01-2020، المرجع السابق، ص117-119.

هو إبراهيم بن سليمان كلكامي، أحد رجالات الإصلاح بمنطقة وادي سوف، من مواليد بلدة الزقم سنة 1902م، بدأ حياته بحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد الشيخ مسعود عباسي8 بالجامع الأصفر، وتلقى طرفاً من علوم اللّغة والدين على عدد من علماء المنطقة كالشيخ الطاهر عمري الذي عمَّق فهمه للدِّين وحبَّ الوطن. وفي سنة 1936م رحل الشيخ إبراهيم إلى تونس لطلب العلم، والتحق بجامع الزيتونة ليتم تعليمه؛ لكن ظروف الحرب العالمية الثانية اضطرته إلى العودة لوطنه ليمارس التعليم والإرشاد، ينتقل بين المدرسة والمسجد مدرسا وواعظا حيث كان يستقبل طلبة الزقم والقرى المجاورة لها ملتزما بالطريقة الزيتونية في التعليم.

اهتم الشيخ بالتاريخ الإسلامي والوطني فاجتهد في تقريبه بالروايات والتمثيليات إلى جمهور الناس، مستغلاً في ذلك المناسبات والأعياد الدينية، وكان للشيخ عدد من الكتب والرسائل في الجغرافيا والتاريخ والأدب، ...لكنها ضاعت وأُتلفت عمداً من المستعمر الفرنسي. ولمّا اندلعت الثورة سارع الشيخ إلى الانضمام لها واضطلع بمسؤولية النشاط في بلدة الزقم مجاهداً صابراً محتسباً؛ حتى تاريخ إعدامه على يد منظمة "لاصاص"[9] في شهر رمضان من سنة 1957م رفقة زميله الشيخ معمري عبد الرحمن[10] رئيس شعبة الزقم[11].

3،3. تلاميذ المدرسة:

كَثُرَ طلاب المدرسة من داخل البلدة والقرى المجاورة لها؛ كسيدي عون وحاسي خليفة

8- هو مسعود بن محمد بن سالم عباسي، ولد سنة 1893م ببلدة الزقم، حفظ القرآن على يد والده محمد، والشيخين الجليلين: محمد أم الهناء، والمقدم بالأخضر، بدأ تعليمه بزاوية سيدي المولدي بنفطة بالجمهورية التونسية، ثم بجامع الزيتونة، اشتهر بكتابته للقرآن الكريم بخط يده، عمل الشيخ مدرسا يحفظ الصبيان القرآن الكريم بالمسجد الغربي، واختير أمينا للمال بشعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالزقم، التي أشرف على تنصيبها العلامة عبد الحميد بن باديس، تعرض الشيخ كباقي إخوانه للمضايقات من قبل المستعمر والسجن للحد من نشاطه، بعد خروجه من السجن واصل عمله الإصلاحي والتربوي، توفي رحمه الله في شهر نوفمبر 1954م. يُنظر: أعلام من سوف، ص 55-58.

9- هو مركز عسكري فرنسي خاص بالقرى الشرقية للولاية، كان مقره بقرية الدبيلة.

10- هو عبد الرحمن معمري، من مواليد سنة 1898م ببلدة الزقم، حفظ القرآن الكريم حفظا متقنًا ودرس مبادئ العلوم بمسقط رأسه على يد جدّه يونس، ثم رحل إلى جامع الزيتونة، وتخرج منه بشهادة التطويع، بعد عودته إلى الوطن ساهم بدور كبير في الحركة العلمية الإصلاحية ببلدة الزقم، وعند تشكيل شعبة جمعية العلماء المسلمين بالبلدة تمّ اختياره لرئاستها سنة 1937م، واصل الشيخ عمله الإصلاحي ومقاومته للمستعمر إلى استشهاده رحمه الله في أفريل سنة 1957م رفقة رفيق دربه الشيخ إبراهيم كلكامي. يُنظر: محمد المولدي سيشي، مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارة سوف، ص22، ومديرية الثقافة، أعلام سوف، شركة مزوار، ط1، 2006، ص15، 16.

11- ينظر: مديرية الثقافة بالوادي، أعلام سوف، شركة مزوار وأبنائه، الوادي، ط1، 2006م، ص 17، 18.

والطريفاوي...، ومن أبرز تلاميذها[12]: عز الدين عباسي[13]، أحمد منصوري[14]، محمد العربي خطراوي[15]، وأخوه محمد العيد الذي رحل إلى المملكة العربية السعودية وتوفي بها، منصوري جاب الله بن الطاهر وأخوه أحمد، عبد العزيز عصامي[16]، معمر حيلة، الساسي

12 أخبرني بتلاميذ المدرسة الشيخ أحمد منصوري في لقاء معه بتاريخ: 31-01-2020.

13- هو محمد عز الدين عباسي بن مسعود المالكي، بدأ حياته بإتقان حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم على يد والده، ثم على الشيخ إبراهيم كلكامي، رحل إلى تونس ليتم تعليمه بجامع الزيتونة سنة 1948م، وتخرج منه بشهادة التطويع سنة 1954م، ثم عاد لوطنه وتفرغ للدعوة ونشر العلم، والتحق بالتدريس في مدارس جمعية العلماء المسلمين سنة 1955م. عاد الشيخ سنة 1957م إلى مسقط رأسه، وواصل عمله الإصلاحي، وبعد الاستقلال التحق بوزارة الشؤون الدينية، وتقلد عددا من المناصب السامية بها، كان آخرها مديرا للشؤون الدينية والأوقاف بالوادي، من أهم مؤلفاته: كتابه "فتاوى وإرشادات في رحاب الدين والحياة"، توفي رحمه الله يوم السبت الفاتح من شهر ربيع الثاني سنة 1435هـ (ينظر: العيد بلالي، حصة "الدين والحياة"، إذاعة الجزائر من الوادي، 2014/02/06م، الساعة: 9:00 صباحا، وعز الدين عباسي، تحفة السالك إلى خير المسالك، 1/(الإهداء)، ومحمد إدير مشنان، أعلام الجزائر، القناة الجزائرية الخامسة، 2010م، فيديو منشور، تاريخ التصفح: 2020/01/10م، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=aoOf2xuXOpk).

14- هو أحمد بن الطاهر منصوري، ولد ببلدة الزقم سنة 1932م، من شيوخه والده الذي درس عليه عددا من المتون، والشيخ إبراهيم كلكامي، درس بمدرسة الفلاح ثم بجامع الزيتونة، وبعد الاستقلال واصل تعليمه النظامي بالمدرس النظامية إلى أن تحصل على شهادة الليسانس في الآداب، كانت له جهود كبيرة في الدعوة والإرشاد، من مؤلفاته: الدر المرصوف، وهو لحد الآن يواصل عمله في نشر العلم والمعرفة والمشاركة في الحياة العلمية بالولاية، فنسأل الله أن يبارك فيه وفي جهوده. لقاء مع الشيخ أحمد منصوري بتاريخ: 2020/01/31.

15- هو، محمد العربي خطراوي، من مواليد سنة 1918م بالزقم، نشأ وحفظ القرآن بالزاوية الرحمانية بالمسجد الشرقي بالزقم، وفي سنة 1939م التحق بجامع الزيتونة، وتخرج منه بشهادة التحصيل، وبعد عودته للوطن التحق بجمعية العلماء المسلمين، واستدعي للتدريس بأحد مدارسها بدائرة أريس –منعة- سنة 1947م، تعرض هو الآخر للمضايقات والسجن من طرف المستعمر، وبعد خروجه من السجن واصل عمله الإصلاحي بتنظيم اللقاءات للشباب المثقف، وندوات فكرية واجتماعية في بيته، و كانت له مكتبة كبيرة بالمسجد الشرقي، وانضم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشط في الوعظ والإرشاد، توفي سنة 1957م. يُنظر: أعلام من سوف، 104، 105، ومحمد المولدي سيشي، مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارة سوف، ص22.

16- هو الشيخ عبد العزيز بن الساسي بن ميلود بن محمد، ولد سنة 1923م، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم الدينية واللغوية على يد الشيخ إبراهيم كلكامي، تحصل على شهادة التطويع من الزيتونة، وبعد عودته انضم إلى شعبة جمعية العلماء بالزقم، واستدعي للتدريس بإحدى مدارس الجمعية بالجزائر العاصمة، تعرض الشيخ للمضايقات من قبل المستعمر، وتم سجنه، وتنقل بين عدّة سجون، وكان مع ذلك يواصل نشاطه في تدريس إخوانه المناضلين المسجونين معه، وخلالها تعرف على عدد كبير من مشاهير وقادة الجزائر، كعبد العزيز مهري، وبوعلام بن حمودة، أُطلق سراحه من السجن يوم 14

مناني[17]، ومحمد الربيعي شوية[18]...

4. دور مدرسة الإصلاح في المقاومة الثقافية

من خلال هذا المحور الرئيس في هذا البحث نحاول إبراز معالم المقاومة الثقافية لمدرسة الإصلاح بالزقم إبان الحقبة الاستعمارية، وذلك من خلال بيان دورها في ترسيخ عناصر الهوية الوطنية من خلال النقاط الآتية:

1.4. الدور الثقافي والعلمي والتربوي الذي لعبته المدرسة:

لقد لعبت مدرسة الإصلاح بالزقم كباقي مدارس الجمعية دورا كبيرا في تسليح الشعب بالعلم والمعرفة، وتحرير العقول، ونشر الوعي، وتصحيح العقائد، ومحاربة الجهل والغفلة، الأمر الذي ساهم في كشف المستعمر ومحاربة مخططاته الرامية لتجهيل الشعب وطمس الثوابت الوطنية والهوية الإسلامية، ويظهر ذلك جليا من خلال النقاط الآتية:

1.1.4. مناهج التدريس والكتب المقررة بالمدرسة:

تميّز المنهج التعليمي لمدرسة الإصلاح كباقي مدارس جمعية العلماء بالصبغة العربية الإسلامية، والتوجّه الوطني الإصلاحي، ومقررات المدرسة مستمدة من برنامج جامع الزيتونة للسنوات الأربع الابتدائية، حيث يُصبح التلميذ الذي يُكمل السّنوات الأربع بالمدرسة مؤهلاً لنيل شهادة الأهلية بجامع الزيتونة، وذلك بعد إجراء امتحان عام في المواد المدروسة، وهذه أهم المواد والمقررات بالمدرسة على حسب السنوات الأربعة[19]:

السنة الأولى: يدرس فيها التلميذ المواد الآتية:

- التوحيد: نظم الشرنوبي الذي يحوي 25 بيتا.
- القواعد: متن الآجرومية.
- الفقه: شرح ميارة على متن ابن عاشر.
- المنطق: إيساغوجي.

جوان 1961م، وبقي تحت الإقامة الجبرية ، ولم يعف عليه إلا بعد توقيف القتال يوم 19 مارس 1962م، بعد الاستقلال عمل إطارا بوزارة التربية والتعليم، توفي رحمه الله يوم 20 فيفري 2005م، ودفن بمسقط رأسه بلدة الزقم بالمقبرة الشمالية. يُنظر: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، ص109-111.

17- درس بجامع الزيتونة، وتخرج منه بشهادة التطويع (لقاء مع الشيخ أحمد منصوري بتاريخ: 2020/01/31).

18- درس بالزيتونة، إلا أنه لم يتم دراسته، نظرا للظروف المادية الصعبة، انتقل إلى مدينة عنابة، واشتغل بقطاعي التربية والشؤون الدينية (لقاء مع الشيخ أحمد منصوري بتاريخ: 2020/01/31).

19- أخذت هذا البرنامج من الشيخ أحمد منصوري أحد تلاميذ المدرسة، بتاريخ: 31-01-2020.

بالإضافة إلى مواد أخرى كالحديث والتجويد والبلاغة. السنة الثانية: يدرس فيها التلميذ المواد الآتية:

- التوحيد: متن السنوسية، وجوهرة التوحيد للقاني.
- القواعد: قطر الندى وبل الصدى.
- الفقه: الجزء الأول من رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

بالإضافة إلى مواد أخرى كالبلاغة والجغرافيا والصرف والمنطق والتاريخ. السنة الثالثة: يدرس فيها التلميذ المواد الآتية:

- القواعد: الجزء الأول من ألفية لابن مالك.
- الفقه: الجزء الثاني من الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.
- البلاغة: الجوهر المكنون في الثلاثة فنون.

بالإضافة إلى مواد أخرى. السنة الرابعة: يدرس فيها التلميذ المواد الآتية:

- القواعد: تتمة ألفية ابن مالك.
- الصرف: جوهر المكنون للأخضري.
- الفقه: مختصر خليل (عُوِّضَ بـ "أقرب المسالك").
- البلاغة: شرح تلخيص المفتاح للقزويني.
- الحديث: موطأ الإمام مالك، والبخاري، والبيقونية.
- الأدب: الأمالي لأبي علي القالي، وديوان الحماسة.
- التاريخ: مقدمة ابن خلدون.
- إملاءات في الحساب والجغرافيا.
- الفرائض: الرحبية.

وهذه البرامج لا تختلف عن برنامج جمعية العلماء المسلمين[20]، إلا في بعض الجزئيات البسيطة؛ كالتاريخ والجغرافيا الذي كان يُركَّز فيه على تاريخ الجزائر، وكان الشيخ يُخصّص لكلّ مستوى ساعة واحدة في الصباح، ويُخصّص للعامة دروساً بين المغرب والعشاء بالمسجد.

20- ينظر: طاهر التليلي، هذه حياتي (مخطوط)، ص 21، 22، وعلي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار ابن كثير، سوريا، ط1، 2016م، ص451-453.

2.1.4.تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العربية للصبيان:

اعتنت مدرسة الإصلاح بتعليم الصبيان القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والأدب، وممن تصدى للتعليم القرآني بالمدرسة مديرها الشيخ إبراهيم كلكامي ورئيس الشعبة عبد الرحمن معمري ونائب أمين المال محمد حامد محضي[21]. وكان التعليم القرآني يتم في الصباح الباكر، وذلك للتمويه على السلطات الاستعمارية بأن المدرسة عبارة عن كتّاب قرآني، وليست مدرسة تعليمية، وبعد خروج أفواج التعليم القرآني تنطلق الدراسة في المدرسة[22].

3.1.4. إقامة الدروس للعوام لنشر الوعي ومحاربة الجهل والخرافات:

إلى جانب المقررات التي كانت تُدرّس بالمدرسة، كانت هناك دروس أخرى للعوام يُشرف عليها رئيس وأعضاء شعبة الزقم، وذلك ضمن خطة الجمعية لرفع الجهل والخرافات ونشر العلم وتصحيح العقائد، فكان لرئيس الشعبة عبد الرحمن معمري دروس في التفسير، وللكاتب العام محمد حامد23 دروس في النحو، ولأمين المال دروس في الفقه.

كما كان لمدير المدرسة الشيخ إبراهيم كلكامي نشاط كبير خارج المدرسة فكان يلتقي بالناس في مجالسهم ويعضهم ويدعوهم، فمن ذلك مجالسه بالقهوة المعروفة بـ" القهوة البرّاء" وقد استجاب له عدد كبير من الناس[24]. ورغم المضايقات التي كانت تتعرض لها مدارس الجمعية من المستعمر الفرنسي، ومنها قرار منع التدريس إلا برخصة الصادر في 8 مارس 1938م، إلا أن المدرسة صمدت، وقامت بأداء رسالتها على أحسن وجه.

21- يُنظر: البصائر، العدد :99، السنة الثالثة، 10 ذي الحجة 1356هـ الموافق 11 فيفري 1938م.

22- هو أحمد بن الطاهر منصوري، ولد ببلدة الزقم سنة 1932م، من شيوخه والده الذي درس عليه عددا من المتون، والشيخ إبراهيم كلكامي، درس بمدرسة الفلاح ثم بجامع الزيتونة، وبعد الاستقلال واصل تعليمه النظامي بالمدرس النظامية إلى أن تحصل على شهادة الليسانس في الآداب، كانت له جهود كبيرة في الدعوة والإرشاد، من مؤلفاته: الدر المرصوف، وهو لحد الآن يواصل عمله في نشر العلم والمعرفة والمشاركة في الحياة العلمية بالولاية، فنسأل الله أن يبارك فيه وفي جهوده(لقاء مع الشيخ أحمد منصوري بتاريخ: 2020/01/31).

23- هو محمد بن حامد بدير، ولد سنة 1917م بالزقم، وبها نشأ وترعرع، تحصل على شهادة الأهلية من الزيتونة، مارس مهنة التدريس بمسقط رأسه، مواقفه السياسية ضد المستعمر، جعلت المضايقات ضده تتكرر، ففرّ من المنطقة إلى مدينة تبسة وعمل كمراسل صحفي لجريدة البصائر باسم مستعار أحمد بن حامد، ثم دخل تونس سنة 1943م، وبعد عودته منها سنة 1945م عمل مدرسا بالأربعاء بالعاصمة، ثم بالغرب الجزائري، توفي رحمه الله سنة 1947م (أعلام من سوف في الفقه والثقافة، ص 102، 103).

24- لقاء مع الشيخ أحمد منصوري بتاريخ: 2020/01/31.

2،4. محاربة امتداد الحركة التنصيرية في بلدة الزقم:

حاول المستعمر نشر التنصير في منطقة الوادي والمناطق المجاورة لها عن طريق تسهيل مهمة "الآباء البيض" الذين كانوا ينشرون نسخا من الإنجيل في الأسواق والمساجد والأماكن العامة، ومن ذلك قيام أحد " الآباء البيض" الذي كان يأتي من الوادي مشيا على الأقدام، حاملا معه نسخا من الإنجيل، ويقوم بتوزيعها في على المعلمين والتلاميذ في الكتّاب، وكان الشيخ إبراهيم كلكامي يأمرهم بأخذ هذه النسخ منه، وأن يقوموا بحرقها بعد انصرافه[25]. وهذا الدور الذي عبته المدرسة في الإصلاح الديني والاجتماعي في بلدة الزقم والوادي عموما مهّد الطريق للمساهمة الفعالة لرجالات المدرسة والجمعية في الكفاح المسلح والثورة التحريرية كما سيأتي بيانه في النقطة الموالية.

3،4. دور المدرسة في مكافحة المستعمر والدفاع عن الوطن

ساهمت المدرسة في الثورة التحريرية، عن طريق صناعة الرجال الذين ساهموا في الجهاد ودعم الثورة منذ اندلاعها وحتى نيل الاستقلال، وسأكتفي بذكر نماذج من مساهمة رجال المدرسة في الكفاح المسلح والثورة التحريرية في النقاط الآتية:

مدير المدرسة الشيخ إبراهيم كلكامي كان من السبّاقين للعمل في صفوف الثورة، وذلك عن طريق عضويته في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وساهم في جمع التبرعات والاشتراكات للمجاهدين، إلى أن اكتشف المستعمر نشاطه، وألقى عليه القبض رفقة عدد كبير من علماء المنطقة، بالإضافة إلى ذلك فإن الشيخ كان له أثر كبير في رفع همم الطلبة وحثّهم على الجهاد في الثورة، ممّا نتج عنه التحاق عدد من طلابها بصفوف المجاهدين[26].

كما قامت السلطات الفرنسية بمحاولة عرقلة نشاط المدرسة عن طريق الزج بروادها في السجون، وذلك خلال حوادث سوف الأليمة أفريل 1938م، مما اضطر عددا من الشيوخ إلى الهجرة إلى مناطق أخرى، كمحمد حامد بدير، وأحمد الغولي، وصمد بعضهم كمسعود عباسي، وعبد الرحمان معمري.فالمدرسة كانت كباقي المدارس الأخرى تحت الرقابة الشديدة للسلطات الاستعمارية، رغم الحذر الكبير من مدير المدرسة وزملاءه المخلصين الذين حاولوا إظهار المدرسة وكأنها كتّاب قرآني، يُعنى بتحفيظ القرآن فقط دون غيره من العلوم الأخرى، حيث كانت الدراسة تتم بعد خروج أفواج القرآن الكريم[27]. هذا ورغم

25- يوسف زغوان، المرجع السابق، ص120.

26- سعيدة عمان، التربية والتعليم بوادي سوف، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف شاوش حباسي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2008م، ص20، 21، 174؛ ولقاء الشيخ أحمد منصوري بتاريخ: 2020/01/31.

27- يوسف زغوان، المرجع السابق، ص116-117.

فقدان المدرسة لأقطابها خاصة بعد وفاة الشيخ مسعود عباسي سنة 1954م، وإعدام الشهيد عبد الرحمان معمري وإبراهيم كلكامي في رمضان 1957م، إلا أن النشاط الإصلاحي التعليمي لم يتوقف إلى غاية الاستقلال، بل استمر حتى بعد الاستقلال كما سيأتي بيانه.

4.4. مساهمة أبناء المدرسة في بناء الدولة الجزائرية المستقلة

كان لتلاميذ المدرسة دور كبير غداة الاستقلال في التربية والتعليم، من خلال المساهمة في الدروس المسجدية، والتعليم في المدارس النظامية، وتقلُّد المناصب السامية في مجال التعليم والشؤون الدينية وفي مختلف المجالات الأخرى، من أجل بناء الدولة الجزائرية المستقلة. ويظهر ذلك جليا من خلال تلاميذ المدرسة الذين واصلوا العمل الإصلاحي وساهموا بدور فعّال في بناء الجزائر المستقلة، وسأكتفي بنموذج واحد، وهو الشيخ محمد عز الدين عباسي الذي ساهم غداة الاستقلال بالانضمام إلى قطاع الشؤون الدينية وتدرج فيه وشغل عددا من المناصب الوزارية السامية، ثم عاد بعد ذلك لمسقط رأسه ووضع اللبنات الأولى لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بالوادي سنة 1985م، ثم مفتشا بها إلى أن تقاعد سنة 1991م.

الشيخ رحمه الله كانت له جهود أخرى حتى بعد تقاعده؛ كرئاسته لعدد من المجالس العلمية التابعة لمديرية الشؤون الدينية بصفة تطوعية بعد أن كان يديرها قبل تقاعده؛ كالمجلس العلمي، ومجلس اقرأ، ومجلس التجهير، ومجلس سبل الخيرات[28]. فالشيخ رحمه الله كان نموذجا لمشايخه من رجال الإصلاح في الجد والعطاء والمثابرة في خدمة دينه ووطنه فرحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جنانه.

5. خاتمة

من أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث:

- تُعد مدرسة الإصلاح ببلدة الزقم من أهم المدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين بمنطقة وادي سوف على غرار مدرسة النجاح بقمار، ومدرسة الفلاح بالرقيبة...
- الشيخ إبراهيم كلكامي رجل من رجالات الإصلاح ساهم بدور كبير في الحركة التعليمية والإصلاحية ببلدة الزقم ومنطقة وادي سوف، وكان له دور كبير في بناء جيل من العلماء والأدباء والمفكرين.
- مساهمة مدارس الجمعية في المحافظة على الشخصية والهوية الإسلامية لدى الشعب الجزائري.

28- علي زواري أحمد العلامة محمد عز الدين عباسي حياته وجهوده العلمية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، المجلد:7، العدد:1، ماي 2021، ص66-68.

• يظهر الدور الكبير لجامع الزيتونة في تكوين واحتضان الطلاب الجزائريين، والمساهمة الفعّالة في تأطير مناهج ومقررات مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

• مدرسة الإصلاح كان لها دور كبير في المحافظة على عناصر الهوية الوطنية، وذلك من خلال نشر التعليم وتحفيظ القرآن ومحاربة التنصير وتوعية الشعب من خلال الدروس والمحاضرات....

• ساهم عدد من طلاب مدرسة الإصلاح والمدارس الأخرى التابعة للجمعية في تلبية نداء الثورة، والالتحاق بالثورة التحريرية المضفرة، وبعد الاستقلال كان لهم دور كبير في بناء الدولة الجزائرية المستقلة.

من أهم التوصيات:

• على السلطات والجهات المعنية إعادة الاعتبار لمقر مدرسة الإصلاح بالزقم والمدارس التاريخية الأخرى بالولاية، وذلك بصيانتها وترميمها، والمحافظة عليها.

• العمل على إعداد معجم للتعريف بشيوخ ورجالات مدرسة الإصلاح بالزقم، وذلك بالاستعانة بتلاميذها الذين ما زالوا على قيد الحياة، أمثال الشيخ: أحمد منصوري-حفظه الله، وبيان دورهم في المقاومة الثقافية.

• عقد الملتقيات والمحاضرات، وتوجيه طلبة الدراسات العليا للكتابة وتناول تاريخ المدارس القرآنية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، لتعريف الأجيال بتضحيات الأسلاف، فتأخذ منها العبر.

5. قائمة المراجع

المؤلفات:

- سعد بن البشير العمامرة، أحمد بن الطاهر منصوري، أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، جمعية الجماعة السوفية، مطبعة مزوار، الجزائر، 2006م.
- طاهر التليلي، هذه حياتي (مخطوط).
- عز الدين عباسي، تحفة السالك إلى خير المسالك، مطبعة مزوار، الوادي.
- علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار ابن كثير، سوريا، ط1، 2016م.
- محمد المولدي سيشي، مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارة سوف، مدونة محاضرات الندوة الفكرية الأولى للشيخ العدواني، الزقم من ديسمبر 1996 إلى يناير 1997.
- مديرية الثقافة بالوادي، أعلام سوف، شركة مزوار وأبنائه، الوادي، ط1، 2006م

الرسائل الجامعية:

- سعيدة عمان، التربية والتعليم بوادي سوف، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث،

إشراف شاوش حباسي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2008م.
- يوسف زغوان، التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931-1962)، رسالة ماجستير التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف علي غنابزية، جامعة الوادي، شعبة التاريخ، 2014-2015.

المجلات:

- البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين، الأعداد: 93، 94، 95، 96.

اللقاءات والبرامج:

- لقاء أحد تلاميذ مدرسة الإصلاح بالزقم الشيخ أحمد منصوري في بيته، بتاريخ: 31-01-2020.
- العيد بلالي، حصة "الدين والحياة"، إذاعة الجزائر من الوادي، 2014/02/06م.

المواقع الإلكترونية:

- القناة الجزائرية الخامسة، 2010م، فيديو منشور على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=aoOf2xuXOpk

6. ملاحق:

مقر مدرسة الإصلاح بالزقم
مقابل المسجد الغربي من الناحية الشمالية

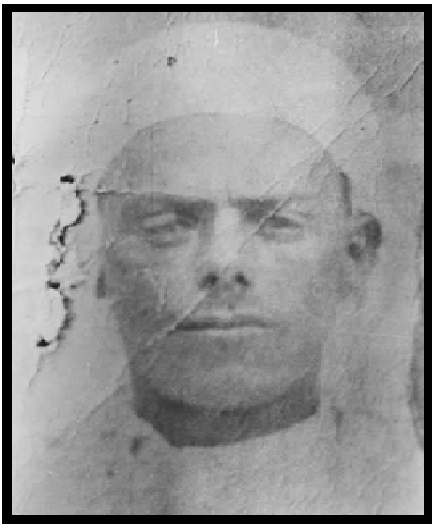

الشيخ إبراهيم كلكامي مؤسس مدرسة الإصلاح بالزقم

الشيخ محمد عز الدين عباسي تلميذ من تلامذة مدرسة الإصلاح بالزقم